

الذكاء الاصطناعي والرُّشد الأخلاقي

إبراهيم محمد زين*

لا يُسَكِّ في أن الثورة التقنية الراهنة لها مستحقات وجودية ومعرفية وقيمية، وفي مقدّمة منجزاتها الذكاء الاصطناعي، والذي يمثل تحديات غير مسبوقة على المستوى الوجودي والمعرفي والقيمي. فالتطورات المتسارعة في مجالات التعلّم الآلي، والرؤية الحاسوبية، والنمذجة اللغوية، لم تعد تقتصر على تحسين أدوات الإنسان، بل تجاوزت ذلك نحو التأثير المباشر في قراراته وسلوكاته، وفي إعادة تشكيل إدراكه لذاته وللعالم من حوله. وفي خضم هذا التحوّل، أوضحت الأسئلة الأخلاقية والتشريعية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي ذات طابع وجودي وجمعي، لا تقف عند حدود التقنية، بل تنفذ إلى أعماق الفلسفة والأنتروبولوجيا والأديان.

إن ما يُعرف اليوم بـ "أخلاقيات الذكاء الاصطناعي" أصبح مجالاً معترفاً به عالمياً، تحاول فيه منظمات دولية مثل اليونسكو في ميثاقها الصادر عام 2021 حول الذكاء الاصطناعي، أن تضع مبادئ توجيهية تستند إلى العدالة، والشفافية، وعدم التمييز، والمسؤولية، والمساءلة. إلا أن هذه المبادئ، على أهميتها، تظل منبّتة في كثير من الأحيان عن الإطار القيمي المتكامل الذي يربط بين الرؤية الكونية الوجودية والمعرفية والقيمية، ولا سيما أن رؤية اليونسكو تفترض حصراً أن نطاق الأخلاق مائل في العقلانية الأداتية أو المعايير الإجرائية.

* دكتوراه في الأديان جامعة تمبل بالولايات المتحدة 1989، أستاذ تاريخ الأديان بكلية الدراسات الإسلامية جامعة حمد بن خليفة.

البريد الإلكتروني: izain@hbku.edu.qa، <https://orcid.org/0000-0001-6545-4132>

للاقتباس: زين، إبراهيم محمد (2026). "كلمة التحرير: الذكاء الاصطناعي والرُّشد الأخلاقي"، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر

(إسلامية المعرفة سابقاً)، مجلد 32، العدد 111، 5-12. DOI: 10.35632/citj.v31i111.17251

من هذا المنطلق، تأتي الحاجة إلى تأصيل خطاب أخلاقي إسلامي، يستلهم تراثاً غنياً في الفقه وأصوله والتفسير والفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام وعلوم اللغة، وينطلق من رؤية توحيدية ترى في الإنسان خليفةً في الأرض، ومستخلفاً عن القيم الإلهية في عمارة الكون. ويجد هذا التأصيل ركائزه في مقاصد الشريعة التي تنظّم العلاقة بين الوسائل والغايات وأخلاق النيات والأفعال، وتُقدّم أُطراً منهجية لضبط التقنية من حيث نيتها، وأثرها، وسياقات استخدامها.

وفي هذا السياق، تمثل وثيقة الأزهر للقيم الإنسانية (2020) إحدى المبادرات المعاصرة، وإن لم تكن تُعنى بمجال الذكاء الاصطناعي بصورة مباشرة إلا أنها تدعو إلى استحضار المرجعيات الدينية والروحية لضبط التحوّلات المعاصرة، عبر التأكيد على كرامة الإنسان، واحترام التنوع، وترسيخ المسؤولية الأخلاقية. وهي قيم تشكّل بدورها الأساس لأي نقاش إسلامي حول الذكاء الاصطناعي، حين يُفهم بصفته أداة يجب أن تظل خاضعة للمقاصد الأخلاقية العليا.

يسعى هذا العدد الخاص من مجلة الفكر الإسلامي المعاصر إلى بلورة هذا التفاعل في مستويات الوجود والمعرفة والقيم مع قضايا الذكاء الاصطناعي، من خلال تقديم دراسات ومقالات تتنوع بين التحليل المقصدي، والتأصيل الفقهي، والمساءلة الفلسفية، والمقارنة الأخلاقية. ونأمل أن يسهم هذا الجهد الجماعي في فتح آفاق جديدة لتشكيل خطاب إسلامي معاصر حول التقنية، لا يقف عند حدود الفتوى، بل يرتقي إلى مستوى فقه الحضارة الرقمية، الذي يتطلب اجتهاداً مقصدياً متعدد التخصصات، يربط بين العلم والقيمة، وبين الكفاءة والعدالة، وبين الفاعلية التقنية والرحمة الإنسانية.

إن ما يتغيّاه هذا العدد هو في إعادة التوازن إلى علاقة الإنسان بالتقنية، على ضوء رؤية الإسلام للوجود والمعرفة وللقيم، وذلك ضمن أفق تشاركي يفتح باب الحوار بين الحضارات والرؤى الكونية المختلفة؛ إذ يمثل الذكاء الاصطناعي اليوم أحد أعقد التحديات الوجودية والمعرفية والقيمية التي تواجه الفكر الإنساني؛ فقد تجاوزت تطبيقاته حدود الأدوات المحايدة، ليغدو قوة بنوية تعيد تشكيل إدراك الإنسان لذاته، وتنظّم علاقاته الاجتماعية، وتوجّه خياراته الاقتصادية

والسياسية. ولئن بدا هذا التحوّل محكوماً بمنطق التقدم العلمي، إلا أنه مشروط أيضاً بجديلية أعمق تتعلق بالمعنى، والمسؤولية، والكرامة الإنسانية.

ولا بد لنا من القول: إن العالم في العقدين الأخيرين يشهد تحولات نوعية عميقة بفعل تسارع تقنيات الذكاء الاصطناعي، التي أعادت تشكيل مفاهيم الإنسان، والمعرفة، والقيمة، والهوية. ولم يعد الذكاء الاصطناعي تطوراً تقنياً، بل أصبح ظاهرة ثقافية وفلسفية وأخلاقية تتقاطع فيها أسئلة المعرفة، والأثر وبولوجيا، والسياسات القيمية.

يحاول هذا العدد الخاص من مجلة الفكر الإسلامي المعاصر أن يستكشف، من خلال مجموعة من الدراسات النوعية، أفق الذكاء الاصطناعي من منطلق إسلامي يعيد الاعتبار للمركزية الأخلاقية والمعرفية للإنسان، ويراجع ما تنتجه التقنية من رؤى وممارسات ضمن مشروع تأصيلي يوازن بين الإبداع والضبط، وبين الانفتاح والتمييز.

إن هذا العدد لا يطمح فقط إلى تقديم نقد إسلامي للذكاء الاصطناعي، بل يسعى إلى بلورة خطاب تأسيسي جامع يدمج بين المعرفة والقيم والوجود، ويستعيد للإنسان مكانته بوصفه مستخلفاً مسؤولاً، لا كائناً رقمياً معزولاً. وهي مهمة وجودية ومعرفية وأخلاقية في آن واحد، وكلُّ معقد، وذلك يتطلب تضافر الفكر الإسلامي مع التحولات التقنية الراهنة لبناء مستقبل أكثر عدلاً وإنسانية.

يأتي هذا العدد في سياق هذه التحولات، ساعياً إلى مساءلة الذكاء الاصطناعي من ثلاث زوايا متكاملة: نظرية المعرفة والقيم والوجود الإنساني، عبر قراءات نوعية لجملة منتقاة من دراسات علمية أغنت هذا الحقل، وألقت الضوء على أبعاده الفلسفية والاجتماعية والأخلاقية.

يمثل بحث الدكتور نذير غرابية "الذكاء الاصطناعي الرمزي والاتصالي: دراسة في تاريخ الأفكار والنماذج التحليلية" محاولة جادة لتأصيل الذكاء الاصطناعي من زاوية تاريخ الأفكار والفلسفات المعرفية التي أسهمت في تشكيله، مع التركيز على النماذج الرمزية والاتصالية في بناء المنظومات الذكية. وتتجلّى أهمية البحث في ربطه بين التراكم العلمي والفلسفي، واستشرافه لأفق

أخلاقي وإنساني في التعامل مع هذه التقنية. ويتسم البحث بجمعه بين العمق التحليلي في تاريخ الأفكار، والحس الأخلاقي العالي، والانفتاح على الإمكانيات التأسيسية غير الغربية. وهو بذلك يُسهم في بناء خطاب إسلامي عقلاني وإنساني حول الذكاء الاصطناعي، ويعيد للمعرفة طابعها القيمي، وللتقنية وظيفتها الخادمة لا المتسلطة.

أما بحث "التقنية في أفق التفكير الفلسفي" فيتبع فيه الدكتور حيدر العايب المسار التاريخي والفلسفي للتقنية، من نقد العقل الأداتي إلى الخوف المعاصر من تغوّل الذكاء الاصطناعي، واضعاً هذا المسار في قلب النقاش حول العلاقة بين الفلسفة والتكنولوجيا. ويوازن الباحث بين نزعتين متقابلتين: التكنوفوبيا التي تنبع من إرث نقدي لحداثة مفصولة عن القيم، والتكنوفيليا التي ترى في التقنية أداة للإنقاذ والتقدم. وفي ظل هذا التعارض، يدعو إلى بناء أخلاقيات تشاركية، تدمج الإنسان في مركز العملية التقنية لا بوصفه مستهلكاً أو موضوعاً للضبط، بل فاعلاً أخلاقياً يشارك في توجيه المسار. ورغم أن البحث لا يتحدث مباشرة من داخل المرجعية الإسلامية، إلا أنه يفتح مجالاً لجدل أخلاقي يمكن أن يستأنف من موقع إسلامي يعيد التوازن بين العقل، والقيمة، والغاية.

ويتمحور بحث الدكتور سمير فريدي حول "سؤال القيم في زمن الذكاء الاصطناعي: التقنية التقيةً وفقاً لتجاوز الآلة الذكية" ورغم جمال السجع في العنوان الجانبي إلا أن البحث حاز على شأو عظيم من التفلسف الرصين. وقد حاول الباحث الربط بين الذكاء الاصطناعي والقيم الإنسانية بوضع إطار أخلاقي جامع يوجّه المطور والمبرمج والمستخدم، ويحاول الإجابة عن سؤال: هل يمكن تحويل القيم الإنسانية إلى معايير داخل الأنظمة الذكية؟ وهل يمكن للآلة أن تتصرف أخلاقياً أو على الأقل أن تمنع وقوع الضرر؟ وكل ذلك في إطار ما يسميه الباحث بالتقنية التقية.

ويأتي بحث الدكتور إبراهيم شوقار، بعنوان "مستقبل الإنسان في ظل الذكاء الاصطناعي"؛ إذ يستعرض التحولات المعرفية التي تنتج عن انتقال مركز إنتاج المعرفة من الإنسان إلى الآلة، ويجذر من اختزال المعرفة إلى المعلومة الرقمية. كما يناقش التحديات الوجودية المرتبطة بتراجع المعنى

والهوية في ظل أنظمة ذكية تُعيد تعريف الإنسان بوصفه كائناً رقمياً. ويدعو الباحث إلى تأصيل ميثاق قيمي مستلهم من مقاصد الشريعة الإسلامية يعيد للعلم مقصديته، وللأخلاق مركزيتها، وللإنسان موقعه فاعلاً حراً ومكلفاً.

أما بحث الدكتورة حنان عيسى ملكاوي المعنون بـ "ثورة التكنولوجيا الحيوية باستخدام الذكاء الاصطناعي: الآثار المجتمعية والتحديات الأخلاقية" فهو إضافة نوعية في مجاله من باحثة أحكمت صنعة البحث العلمي، وجاء عملها العلمي ليس حول الذكاء الاصطناعي من وجهة نظر أخلاقية، ولكن في أخلاقيات الذكاء الاصطناعي. ويركز البحث حول التداخل العلمي بين الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الحيوية ومقتضيات المهمّ الأخلاقي، وبعض مجالات التطبيق التي يتطرق إليها تشمل اكتشاف الأدوية والطب الدقيق والزراعة الذكية والأمن البيولوجي، ويغوص في الإشكالات الأخلاقية والآثار المجتمعية المتصلة بالخصوصية الجينية والتمييز الوراثي واختلال ميزان العدل في الوصول للتقنيات، وفوق كل ذلك قضية إعادة تعريف الإنسان، وتأتي المساهمة النظرية في اقتراح مفهوم الابتكار الأخلاقي، الذي بمكنته أن يقود الرُّشد الأخلاقي.

ويقترح الدكتور حسين المحيميد في دراسته المعنونة بـ "التحديات الأخلاقية والقيم في استخدام التكنولوجيا الذكية"، معالجة منهجية متعمقة لمجالات أخلاقيات التقنية، مستنداً إلى ثلاثة أطر فلسفية: الأخلاقيات المعيارية، وأخلاقيات العواقب، وأخلاقيات الفضيلة. ويربط الباحث بين هذه الأطر والقيم الإسلامية الجوهرية مثل المسؤولية والعدالة، مشدداً على أن التصميم القيمي للتكنولوجيا ضرورة ملحة في سياق يتفاقم فيه التحيز الخوارزمي وانتهاك الخصوصية. وتقدم الدراسة مثلاً واضحاً على إمكانات التأسيس لمقاربة إسلامية تستلهم المقاصد الشرعية في حماية الإنسان والبيئة من المآلات غير الأخلاقية للتطور التكنولوجي.

أما بحث "الحدائث والذكاء الاصطناعي: نقد سوسيولوجي لنزع الأدمية" للدكتورة أميرة أبو سمرة، فيطرح مقاربة نقدية جذرية للذكاء الاصطناعي، بوصفه امتداداً أو تفكيكاً للمنطق الحدائثي

القائم على نزع آدمية "الأخر"، واستبعاد القيم الأخروية من المشروع المعرفي الحديث. تنطلق الباحثة من مفاهيم: التشيي، والاستعمار الرقمي، والتحيز المشفر؛ لتعيد تفكيك علاقة التقنية بالهيمنة، مؤكدة أن الذكاء الاصطناعي، كما يُصمّم ويُستخدم، لا يعيد فقط إنتاج علاقات السيطرة، بل يُعيد طرح أسئلة الوجود والكرامة والفاعلية الإنسانية على نحو يمَسُّ جوهر المشروع الأخلاقي العالمي. وفي هذا السياق تدعو الباحثة إلى إعادة بناء خطاب قيمي عالمي بديل، يعترف بالإنسان لا بصقته مدخلاً في نظام خوارزمي، بل فاعلاً اجتماعياً أخلاقياً مسؤولاً. وهنا تظهر المساحة الممكنة لإسهام إسلامي يُستأنف من موقع نقدي، لا على هامش المعرفة، بل من داخل القضايا الكبرى التي تقاطع فيها الأخلاق، والتقنية، والكرامة.

ويقدّم الدكتور سمير أبو زيد في بحثه الموسوم بـ "المسؤولية الأخلاقية في أبحاث وتطبيقات الذكاء الاصطناعي - منظور نقدي" معالجة دقيقة لمفهوم المسؤولية الأخلاقية في سياق الذكاء الاصطناعي، من خلال تحليل الإشكالات التي تثيرها التطبيقات المعاصرة من حيث توزيع الفاعلية، والمحاسبة، والنية، والنتائج. واستند في طرحه إلى منظور نقدي يستوعب التعقيد التقني، ويعيد الاعتبار لمكانة الإنسان بوصفه فاعلاً مسؤولاً يُمثل مساهمة رصينة في ترسيخ مفهوم المسؤولية الأخلاقية في أبحاث الذكاء الاصطناعي، وقد أبرز البحث الحاجة إلى إطار تأصيلي إسلامي يُعيد الربط بين الفعل، والنية، والمقصد، ويؤكد على محورية الإنسان كائنًا مكلفاً مسؤولاً في جميع البيئات الرقمية والتقنية.

يتناول الدكتور فؤاد عفاني في بحثه المعنون بـ "الذكاء الاصطناعي والسينما الغربية: تمهيد لعلاقة جديدة بين الإنسان والآلة" التمثلات الرمزية والثقافية للذكاء الاصطناعي في السينما الغربية، بوصفها مرآة للوعي الجمعي الحديث، ووسيلة لإعادة تشكيل التصورات حول العلاقة بين الإنسان والتقنية. يمثل البحث مساهمة في علم اجتماع المعرفة؛ إذ يقرأ الذكاء الاصطناعي لا بوصفه تقنية فقط، بل بصفته بنيةً رمزية وثقافية متكاملة. ويقدم الباحث قراءة ثابتة في علاقة السينما بالمعرفة والقيم، ويُبرز كيف أن الذكاء الاصطناعي ليس تحولاً تقنياً فحسب، بل هو تغيير عميق في التمثلات

الوجودية. ومن هنا تأتي ضرورة استعادة خطاب بديل يُعيد التوازن بين الإنسان والتقنية، ويُدخل القيم في صلب المخيال الثقافي لا على هامشه.

وبناء على ما سبق من توصيف لبحوث هذا العدد؛ نلمس حفرًا معرفيًا يكشف أن الذكاء الاصطناعي ليس اختراعًا تقنيًا فحسب، بل هو منعطف يتعلق برؤية الإنسان في مستوياتها الوجودية والمعرفية والقيمية، ويستدعي إعادة تأصيل لمفاهيم الإنسان، والمعرفة، والمسؤولية، والغائية. لقد أبرز الباحثون في هذه الأوراق كيف أن الذكاء الاصطناعي يُعيد تشكيل الوعي البشري عبر تمثلاته الرمزية، ونماذجه الحسابية، وتطبيقاته العملية، وأن التعامل معه يتطلب يقظة معرفية وأخلاقية لا تُغفل الأبعاد الوجودية لما يعنيه أن نكون بشرًا.

ومن منظور إسلامي، فإن مركزية الإنسان بوصفه خليفةً ومكلفًا تتناقض مع الرؤى التقنية التي تُشيئ العقل، وتُجزئ الفعل، وتُهمس النية، وتُفرغ القيم من مضمونها المقصدي. وقد دعت هذه الأبحاث إلى تجاوز العقل الأداتي، وإعادة إدماج المعنى في التقنية، عبر استلهام منظومة قيمية مؤسسة على مفاهيم الأمانة، والعدل، والنية، والمقصد، والرحمة، والتكافل.

إن تأصيل أخلاقيات الذكاء الاصطناعي من داخل المرجعية الإسلامية لا يعني الانغلاق أو التقوقع، بل يفتح أفقًا حوارياً عالمياً يسهم فيه الفكر الإسلامي من موقع الندية والمسؤولية. فالعالم اليوم يواجه أزمة معيارية في توجيه التقنية، ومن شأن الرؤية الإسلامية أن تقدم بُعداً توفيقياً يجمع بين الكفاءة والضمير، وبين الابتكار والحكمة، وبين العقل والوحي.

وعليه، فإن هذا العدد يمثل لبنةً أولى في مشروع متكامل يسعى إلى بناء "أخلاقيات إسلامية للذكاء الاصطناعي"، ليست رديفًا دفاعياً للأخلاقيات الغربية، بل مقاربة تأصيلية قادرة على مساءلة التقنية من داخل نسق معرفي وقيمي أصيل، يؤمن بأن الإنسان ليس مُنتجاً للبيانات فحسب، بل هو حامل للمعنى، وصاحب رسالة، وفاعل أخلاقي في هذا الوجود المتحوّل.

وهذه الأبحاث على تباين مداخلها، تشترك في جوهر واحد: ضرورة إعادة تأصيل العلاقة بين الإنسان والتقنية ضمن أفق قيمى يتجاوز النفعية الباردة والمركزية الحدائثة، وتقودنا نحو رؤية وجودية ومعرفية وقيمية تُعلي من قيمة الكرامة، وتُعيد الاعتبار للإنسان بما هو حامل للأمانة، لا بصفته عنصراً في سلسلة تشغيل الآلة والانشغال بتطويرها والاندماج فيها. ولا بد للتكنولوجيا - على وجه الاجمال - أن تخضع لمقومات الرُّشد الأخلاقي. ولئن كان الذكاء الاصطناعي قد نجح في إعادة تعريف الإنسان في صلته بالآلة فإن إنسان ما بعد الذكاء الاصطناعي حري به أن يحقق هذا الرُّشد الأخلاقي في عمله وعلاقته بالأشياء والأحياء من حوله؛ لأن ذلك من المقاصد الكبرى في تحقيق إنسانيته.

نأمل أن يُسهم هذا العدد في فتح أفق وجودي معرفي وأخلاقي جديد، يُتيح للمفكر المسلم أدوات منهجية ومنظورات نقدية للتفاعل المسؤول مع الذكاء الاصطناعي، واستكشاف الممكنات الحضارية لإسهام إسلامي أصيل في حقل ما يزال في طور التشكُّل، ونسأل الله التوفيق والسداد.